العدد ٢٠١٩/٢

الأحد ١٣ كانون الثاني

الأحد بعد الظهور الإلهي

تذكار الشهيدين

إرملُس واستراتونيكس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطِيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهِبةِ المسيحِ* فلذلك يقولُ لمَّا صعِدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُه صعِدَ هل هو إلَّا أنَّه نزلَ أولًا إلى أسافلِ الأرضِ* فذاكَ الذي نزَل هو الذي صعِدَ أيضاً فوقَ السمواتِ كلِّها ليملأَ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسيَن لعَملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسدِ المسيحِ* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وِحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ

بشرى الملكوت

«ومنذئذٍ بدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧).

العبارتان البارزتان في العهدين القديم والجديد «ملكوت السموات» (التي تتكرّر ثلاثين مرّة في إنجيل لوقا، أربع عشرة مرّة في إنجيل مرقس، وثلاث مرّات في إنجيل متى) و«ملكوت الله» (ثلاثين مرّة في إنجيل متى) هما قلب البشارة المسيحيّة في الأناجيل الثلاثة الإزائيّة. إنّهما تردان في أسفار العهد الجديد بصيغ مختلفة مثل «ملكوت الآب» (مت ١٣: ٤٣، ٢٦: ٢٩، لو ١٢: ٣١)، «ملكوت الإبن» (كو ١: ١٣، لو ١: ٣٣، ٢٢: ٢٩-٣٠، عب ١: ٨)، «ملكوت إبن الإنسان» (مت ١٣: ٤١، ١٦: ٢٨)، «ملكوت المسيح» و«ملكوت الربّ» (أف ٥: ٥، ٢بط ١: ١١، مت ٢٠: ٢١، يو ١٨: ٣٦، ٢تي ٤: ١، ٤: ١٨) أو بكلّ بساطة بعبارة «ملكوت» المرتبطة دومًا بالإنجيل، والكلمة، والمجد الإلهيّ. لا تعني عبارة ملكوت (Basileia) مملكةً بالمفهوم الأرضيّ للكلمة، أي الدولة ذات الحدود والجيش والمؤسّسات والهيئات الرسميّة والبنية الإداريّة والسياسات المتبدّلة... العبارة في معناها الأدقّ إشارة إلى «مُلك الله» الأزلي وسلطانه غير المخلوق ومجده السرمديّ وسيادته النهائيّة التي تملأ السموات والخليقة عند استعلانه وظهوره المرجوّ.

تُستبدل عبارتا «ملكوت السموات» و«ملكوت الله» في إنجيل يوحنّا بعبارتَي «نور» و«حياة»: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٤-٥).

يبشّرنا الإنجيل بملك الله القريب منّا: «وفي تلك الأيّام جاء يوحنّا المعمدان يكرز في بريّة اليهوديّة قائلاً: توبوا، لأنّه قد اقترب ملكوت السّموات. فإنّ هذا هو الّذي قيل عنه بإشعياء النبيّ القائل: صوتُ صارخٍ في البرّيّة: أعدّوا طريق الربّ. اصنعوا سبله مستقيمة» (مت ٣: ١-٣). كانت هذه كرازة السابق المجيد يوحنّا المعمدان التي بها هيّأ طريق المخلّص الذي أتى إلينا ودنا من واقع حياتنا حين «أحدر السموات

وتنازل من أجل خلاصنا»، ووُلد بالجسد من العذراء الفائقة القداسة.

«وبعدما أُسلم يوحنّا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله» (مر ١: ١٤). الربّ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد وكلمته الأزليّة، ظهر بين الناس ليُعلن لهم الدعوة الحقيقيّة، دعوة الإنجيل إلى الاتّحاد بمحبّة الله الآب ومشيئته من خلال أعماله المقتدرة والثمار الروحيّة الجليّة لكلامه، والتي تُظهر حضور ملكوت الله بين الناس.

لكنّ حضور ملكوت السموات يبقى خفرًا في حياتنا. هكذا عاش المسيح على الأرض، وهكذا أعلن سرّ الله بين الناس. الملكوت سرٌّ يتقبّله الإنسان في قلبه بتواضع كبير، بخفر وانسحاق. هو عطيّة لمحبّي الله الذين يرجون، بإيمانٍ وشوق، رحمة الله وحضوره في حياتهم، وافتقاده وتعزيته وتدبيره الكلّيّ الصلاح. «سأل الفرّيسيّون يسوع: متى يأتي ملكوت الله؟ فأجابهم وقال: ملكوت الله لا يأتي بالمراقبة. ولن يُقال: ها هو هنا، أو هناك! فها إنّ ملكوتَ الله في داخلكم!» (لو ١٧: ٢٠-٢٢).

يبشّرنا الإنجيل أيضًا بقرب نور الإله المثلّث الأقانيم الآب والابن والروح القدس، وبعطيّة حياته الإلهيّة. المسيح نور العالم وحياتنا، الذي أتى إلى الأرض لينير الذين يقبلونه، يفتقد بعذوبة ضيائه قلوب محبّيه الذين يصبرون من أجل اسمه، ويتعبون، ولا يكلّون في خدمة الآخرين والتضحية، واحتمال كلّ شدّة وألم وضيق، إيمانًا منهم بأنّ المعزّي قريب (إش ٥٠: ٨)، وبأنّ «عينيّ الربّ إلى الصدّيقين وأذنيه إلى استغاثتهم» (مز ٣٤: ١٥).

كلّ معنى حياتنا المسيحيّة هو في اتّحادنا مع ملكوت الله ونوره وحياته، نور المسيح الذي يبدّل حياة الإنسان ويقدّسها حين يسكب فينا عطيّة الروح القدس- الربّ المحيي. بالروح القدس نحيا إلهيًّا ونستضيء بعطايا ملكوت الآب. «بالروح القدس كلّ نفس تحيا وتسمو بالطهر لامعة بوحدانيّة الثالوث بحالٍ شريفة سرّيّة». نعيش هذا السرّ في الكنيسة في كلّ صلاة، وبشكل خاصّ في كلّ قدّاس إلهيّ. القدّاس هو سرّ استعلان ملكوت السموات في كنيسة المسيح المجيدة وعطيّة «النور الحقيقيّ» (يو ١: ٩) والحياة الإلهيّة. الكنيسة بيت الله الآب، وفيها يطلّ الآب بتعطّف ورحمة على أبنائه. هي موضع استعلان مجده السرمديّ وينبوع المواهب الإلهيّة التي يتزيّن بها إنسان القلب الداخليّ الذي يعيش «حياة مستترة بالمسيح» (كو ٣: ٣). فإنّ عيش النعمة يبقى سرًّا خفرًا يختصّ به أصفياء الله وأحبّاؤه.

«ما لم ترَه عينٌ، ولم تسمع به أذنٌ، ولم يخطر على بالِ إنسان: ما أعدّه الله للّذين يحبّونه، فأعلنَه الله لنا نحن بروحه. لأنّ الرّوح يفحص كلّ شيء حتّى أعماقَ الله» (١كو ٢: ٩-١٠). ملكوت الله يسكن في الإنسان حين يودع اللهَ حياتَه ويسلّم قلبه لمشيئته ويقتني «فكر المسيح» (١كو ٢: ١٦). نعمة الله تبدّل كيان الإنسان: فكره ونفسه وجسده، وشوقه إلى المسيح يجعله يسارع إلى الربّ ويعبّر له بالطلبات والشكران عن حاجته إليه.

الإنسان، حين يدرك محبّة الله، إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمان لمَّا سمعَ يسوعُ أنَّ يوحنا قد أُسلِمَ انصرفَ إلى الجليلِ* وتركَ الناصرةَ وجاءَ فسكنَ في كَفْرَناحوم التي على شاطئِ البحرِ في تخومِ زَبولونَ ونَفْتاليمَ* ليتمَّ ما قيلَ بإشعياءَ النبي القائل: أرضُ زبولونَ وأرضُ نفتاليم طريقُ البحرِ عَبرُ الأُردنِّ جليلُ الأُمم* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بُقْعةِ الموتِ وظلالهِ أشرقَ عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرِزُ ويقولُ: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

«توبوا فقد اقترب ملكوت السموات».

إنّي أرتعد خوفاً عندما أتصوّر كم أنّي أُهين الله باستمرارٍ. هكذا أهدم في بعض الأحيان ما أبنيه في أحيانٍ أخرى. فعند المساء، أقول إنّي سأتوب غداً، ومتى حان الصباح أقضي النهار دونما اتضاع. ثم أعود فأقول في المساء التالي إنّي سأقضي الليل مصلّياً وسائلًا الله بدموعٍ أن يرضى فيغفر لي خطاياي، ولكن ما إن يأتي الليل حتى أستسلم للنعاس فيغلبني. أمّا الذين تلقّوا الوزنات (لو ١٩: ١٢–٢٧) هم أيضاً معي فيعملون دوماً لأجل استثمارها، حتى يستحقّوا المديح على ذلك ويتولّوا على عشر مُدُن، فيما أنّي لكَسَلي دفنت وزنتي في الأرض وها هوذا ربّي وسيِّدي يقترب، ما يجعل قلبي يتجمّد من الهلع، غيرَ عالمٍ أيَّ عُذرٍ أتعلّل به أمامه عن كلّ الوقت الذي قضيته في هكذا تهاون. فيا إلهي، البريء من حين يتذوّق عذوبة افتقاده ورحابة رحمته غير المتناهية، يزدري بالأرضيّات ويتوق بكلّيّته إلى السماويّات، فينفتح قلبه على نعمة الله ويصير إناءً مختارًا للروح القدس. يتّكل الإنسان على الله بثقة لا متناهية ولا يعود يطلب سواه. هذا هو معنى قول الإنجيل: «أطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلّها تزاد لكم» (مت ٦: ٣٣).

القدّيس أنطونيوس الكبير

تعيّد كنيستنا المقدّسة في السابع عشر من شهر كانون الثاني للقدّيس أنطونيوس الكبير كوكب البريّة وأب الرّهبان.

وُلد القدّيس أنطونيوس حوالى العام ٢٥١ م. لأبوَين مسيحيَّين ثريَّين في قرية كوما الواقعة في الصعيد المصريّ. رقد والداه بالربّ تاركَين له ثروةً كبيرة. في أحد الأيّام، سمع الشابّ أنطونيوس الآية الكتابيّة القائلة: «إن أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهبْ وبِعْ أملاكَك وأَعطِ الفقراء، فيكونَ لك كنزٌ في السّماء، وتعالَ اتبَعني» (مت ١٩: ٢١)، فاعتبرَ أنّ هذا الكلام موجَّهٌ إليه شخصيًّا، فترك جزءًا من الميراث لأخته، ووزّع الباقي وخرج إلى الصحراء ليعيش بالقرب من الربّ.

هناك، تحلّق حوله رهبان، وقد كان يحثّهم دائمًا على ذكر الموت، إذ لا أحد يعرف متى تُطلَب روحُه. هذا الموضوع كان القدّيس أنطونيوس تأثَّر به عندما كان في قرابة العشرين من عمره وشاهد والده جثّةً فأخذ يتأمّل بالموت وقال: «تبارك الله! أليست هذه الجثّة كاملة ولم يتغيّر فيها شيء سوى توقّف النَّفَس؟! فأين هي همّتك وعزيمتك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال؟!»، ثمّ أردف: «إن كنتَ أنتَ قد خرجتَ غصبًا عنك، فلا أعجبنّ من ذلك، بل أعجب أنا من نفسي إن عملتُ مثل ما عملتَ أنت». ذَكَرَ القدّيس أثناسيوس الكبير، كاتب سيرته، أنّه ترك العالم بعد وفاة أبيه بستّة أشهر، وقد كان لسان حاله: «ها أنا أخرج من الدنيا بإرادتي كي لا يخرجوني مثل أبي رغمًا عنّي».

مرّةً، كان القدّيس أنطونيوس جالسًا في قلّايته (تسمية تُطلَق على غرفة الراهب)، فاستبدّ به روح الملل وصغر النفس والحيرة، فضاق صدره وأخذ يشكو إلى الله حاله قائلًا: «يا ربّ، أُحبُّ أن أخلص، لكنّ الأفكار لا تتركني، فماذا أعمل؟». فجأةً، رأى إنسانًا جالسًا أمامه يلبس رداء طويلًا، متّشحًا بزنّار، وعلى رأسه قلنسوة. أخذ الرجل يضفر سلال القشّ، ثمّ قام للصلاة، ثمّ جلس من جديد يضفر السلال وهكذا دواليك. كان ذاك الرجل ملاكًا جاءه من لدن الله ليعزّيه ويقوّيه ويعلّمه قائلاً له: «اعمل هكذا فتستريح!». من ذلك الوقت، اتّخذ القدّيس أنطونيوس الزيّ الذي رأى الملاك متّشحًا به وصار يصلّي ويعمل على الوتيرة التي رآه يعمل بها، فاستراح بقوّة الربّ يسوع، وأصبح الزيّ هو اللّباس والإسكيم الرهبانيَّين المعتمَدَين.

لم تُعجب غيرةُ القدّيس أنطونيوس الشيطانَ فراح يتصدّى له بقوّة متزايدة. ذكّره بالممتلكات التي خلّفها وراءه ليبثّ فيه الأسى،

وبأخته التي أهملها ليُشعره بالذنب. نفخَ فيه الشرّير روح المجد الباطل. لفته إلى ضعف جسده وطول المدة التي ينبغي أن يمضيها بالصلاة. جرَّبه بشتّى التجارب، إلّا أنّ قدّيسنا قاومه بالثبات والعزم والإيمان بالله والصلاة المستمرّة والصوم وذكر الموت.

لم يُظهر القدّيس أنطونيوس أيّ تكاسل أو تراخٍ بعد انتصاره على الشيطان، لأنّه كان يعرف أنّ الشيطان سيعيد الكرّة بطرق أُخرى «لأنّه ربيب الخطيئة»، لهذا زاد من قسوته على نفسه. كان يمضي الليل ساهرًا في الصلاة، لا يأكل سوى مرّة واحدة في اليوم، بعد غروب الشمس، وأحيانًا كلّ يومين أو أربعة أيّام. كان طعامه الخبز والملح والماء. لم يكن ينام إلّا قليلاً على الأرض. كان يبدأ حياته النسكيّة كلّ يوم من جديد وكأنّه أوّل يوم له في النُّسك. كان همّه أن يظهر أمام الله طاهر القلب، مستعدًّا للسلوك في مشيئته بكلّ قواه.

قال للرهبان الذين معه يعلّمهم: «الشياطين قادرة على أن تأخذ الشكل الذي تريده. كثيرًا ما تتظاهر، وهي مختفية، بأنّها ترتّل أو تتلو أقوالاً من الكتاب المقدّس. أحيانًا تردّد ما نقرأه وكأنّها صدى. تارةً تُنهضنا للصلاة كي لا ننام. تفعل هذا باستمرار لتمنع عنّا النوم. تتّخذ أحيانًا شكل الرهبان وتتكلّم بتقوى لتخدعنا. تجرّ الذين خدعتهم إلى حيث تريد. لذلك، لا نصغِ إليها حين تُنهضنا للصلاة وحين تنصحنا بألّا نأكل أبدًا وتتّهمنا وتوبّخنا في أمور وافقتنا فيها سابقًا. الشياطين تسعى لتقود المستقيمين إلى اليأس. أمّا كيف نفرِّق الأرواح الشرّيرة عن الأرواح الصالحة، فالربّ يعطينا قوّة التمييز بينها. لا يكون ظهور الأرواح الصالحة مرعبًا بل هادئًا. تخلق فرحًا في النفس وشجاعة. الأفكار التي تولّدها تبقي النفس غير متزعزعة إلى أن تنيرها من هذا الفرح. الأرواح الصالحة تطرح الخوف بالمحبّة التي تُظهرها كما فعل الملاك الذي ظهر للنسوة عند قبر الربّ وعندما ظهر للرعاة. أمّا هجوم الأرواح الشرّيرة وظهورها الخيالي فترافقه ضوضاء وضربات وأصوات وصراخ كهجوم الأولاد الأشرار واللصوص. متى ظهرت ساد الرعب واضطراب النَّفس وتشويش الفكر والتهجّم والتهامل والحزن وخوف الموت. إذا رأيتم روحًا واعتراكم الخوف أوّلاً ثمّ حلّ محلّ الخوف فرح لا يُعبَّر عنه وحماس وشجاعة وإقدام ومحبّة لله فتشجّعوا وصلّوا للربّ. أمّا إذا رأيتم أرواحًا أثارت فيكم اضطرابًا وضربات خارجية وتخيّلات دنيويّة وتهديدًا بالموت فاعلموا أنّ هذا هجوم من الأرواح الشرّيرة».

سيرة القدّيس أنطونيوس تُعَلِّم قارئها الكثير، لأنّ القدّيسين هم إنجيل حيّ. لقد عاشوا الكلمة الإلهيّة فأصبحوا بدورهم مثالاً حيًّا للكلمة المسيح الإله. عاش قدّيسنا حتّى سنّ المئة والخمس سنوات، رقد بعدها بسلام.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

الخطأ وحده، إرحمني. خلّصني أيّها الكلّيّ الرأفة والكلّيّ الرحمة وحده، إذ لا أعرف ولا أؤمن البتّة بأحدٍ آخر سواك، أيّها الآب الكلّيّ القدرة مع ابنك الوحيد الذي تأنّس لأجلنا والروح القدس الذي يُحيي الكلّ. أذكرني إذاً يا من يحبّ البشر إلى المنتهى، وأخرجني من هذا الحبس، من آثامي، إذ مثلما كان باستطاعتك أن تأتي بي إلى العالم عندما ارتضيت، هكذا لك أنت أيضاً أن تخرجني منه عندما ترتضي. اذكرني، فليست لي حماية أخرى سواك، وخلّصني أنا الخاطئ الفقير. وعسى هذه النعمة عينها التي حَبَوتني بها، والتي كانت إبّان هذه الحياة كلّ سندي وكلّ ملاذي وكلّ مجدي، أن تَقيني أيضاً تحت جناحيها في ذلك اليوم الرهيب المرعب.

القديس إيرونيموس